الروايات الرومانسية
قصة
القلوب دواء
فاطمة الشريف
Des:Gesan

دواء القلوب

بقلم : فاطمة الشريف

تصميم الغلاف : Besan

تصميم الداخلي : Zouba

للعقل ذاكرة انتقائية ، يحذف غير المهم و يحتفظ بالمهم من الذكريات . فماذا إن كان من بين الذكريات المهمة أشد الذكريات وجعا ! .. أشدها قتلا للروح و تشويها للنفس ! .. أشدها تأثيرا علينا و على شخصنا ! .. أشدها تأثيرا على تعاملاتنا و ردود أفعالنا بالسلب لا بالإيجاب ! .. هل عندها تصبح هذه الذكريات مهمة ؟! .. بل هل عندها يصبح للذاكرة أهمية و هي مصدر التعقيدات و الترسبات ؟! ... عندها نتمنى فقد الذاكرة الانتقائي ؛ لنتذكر أسعد أوقاتنا و نقتل بأيدينا أتعسها و أخزاها .. نقتل ما يقتلنا ببطء و نبقي على ما ينير روحنا و يشرق نفوسنا .... لكننا لا نستطيع .. كل ما نستطيعه هو

استبدال الذكريات الكئيبة بأخرى سعيدة ... فهل نقدر على ذلك بأنفسنا أم نحتاج لدعم أحدهم ؟ .. نحتاج لدعم شخص يحبنا و يهتم لأمرنا ... شخص يفهمنا و يتفهم دواخلنا .. لكن هل ينجح الحب في نسيان الألم ؟!!! .

حين اكتشفتك

لم يكن قصدي اكتشافك

فأنا الذي ما كنت ضد الحب يوما ،

أو معه

أنا مؤمن أن الفصول الأربعة ..

ستظل دوما أربعة

و بأن شمسا واحدة

و بأن بدرا واحدا ..

فتن الوجود إلى السماء السابعة

لكنني حين اكتشفتك

كل الأمور تغيرت

فأضفت بدرا ثانيا

و أضفت شمسا ثانية

و أضفت فصلا خامسا ... ما أروعه !

(بقلم الشاعر عبد العزيز جويدة)

كانت جويرية تستعد للذهاب إلى دار الأوبرا لحضور حفل الموسيقار عمر خيرت الذي تعشقه و تحفظ مقطوعاته عندما نادتها والدتها : جويرية .. هل أنت ذاهبة إلى حفل لموسيقار أم حفل عرسك .. ألم تنتهي بعد ؟ أجابتها و هي تضع لمساتها الأخيرة على حجابها : لقد انتهيت أمي .. التقطت حقيبتها و قبلت أمها من وجنتها : إلى اللقاء .. أجابتها الحاجة فتحية : إلى اللقاء يا حبيبة أمك .. ثم أضافت رافعة يديها في وضعية الدعاء : وفقك الله في كل خطوة و رزقك بابن الحلال الذي يقر عينك و يملأ قلبك ... ضحكت جويرية على كلمات أمها التي لا تكل و لا تمل من ترديدها كل يوم ، بل كل ساعة .

جويرية : رسامة تعشق الفن و الطبيعة .. عيونها سوداء و شعرها بلون البندق .. جسدها ممتلئ بعض

الشيئ بشكل غير منفر .. لديها أخ وحيد (أحمد) يكبرها بعامين أي عمره تسعة و عشرين عاما .. توفى والدها منذ عشر سنوات و قد تعهدت والدتها برعايتها و تربيتها هي و أخيها .. تحب والدتها فهي كل حياتها و تحب أخاها و تعتبره صديقها بل و أيضا حبيبها تشاركه كل لحظاتها و أسرارها و كذلك هو .. ترفع شعار لا للحب و الزواج ، و نعم للحرية .

في مكان آخر ....

يصفف شعره أمام مرآة غرفته مستمعا لأغنية أم كلثوم (سيرة الحب) مرددا كلماتها : ياما الحب نده على قلبي مردش قلبي جواب .. ياما الشوق حاول يحايلني و أقوله روح يا عذاب .... نظر نظرة أخيرة في المرآة يتأكد من هيئته ثم خرج من الغرفة ... اتجه لغرفة والده : أتريد شيئا أبي ؟ .... نزع والده

نظارته : سلامتك بني .. متى ستعود ؟ ... نظر لساعته ثم أجابه : لا أعلم ، لكني لن أتأخر بإذن الله ... ابتسم له والده : حسنا بني في أمان الله .

فارس : مصور فوتوغرافي ...أتم عامه الثلاثين ... شعره أسود بلون الفحم و عيونه بلون العسل الصافي جسده رياضي ؛ فهو يهتم بنفسه كثيرا و يداوم على الرياضة مما يكسبه جاذبية لا تضاهى ... توفت والدته منذ عامين و يعيش مع والده و أخته حلا التي تصغره بخمسة أعوام ... يحب السفر كثيرا و يكره القيود .

دخلت تبحث عن مقعدها حتى وجدته فجلست منتظرة بدء الحفل بحماس .

بحث عن مقعده و لكنه انتبه للجالسة على المقعد المجاور له بحجابها الوردي الذي يماثل لون خدها و

شفتيها مجسدا لوحة من البراءة و الجمال الطبيعي الذي يفتقده كثيرا هذه الأيام ... أفاق من تأمله لها :ما هذا الهذيان ؟ لابد أنه تأثير هذا الجو الشاعري .. نفض رأسه عن هذه الأفكار و اتجه يجلس على مقعده : السلام عليكم ... انتبهت للجالس بجوارها و ردت عليه باقتضاب : و عليكم السلام .

بدأ الحفل و كانت جويرية تستمع إلى الموسيقى بعيون لامعة و ابتسامة حالمة مدندنة معها غير منتبهة للجالس بجوارها و الذي كان ينظر لها نظرات خاطفة من وقت لآخر .

انتهى الحفل و عاد كل منهما إلى منزله لا يعلمان ما يحمل لهما القدر من تدابير .

فتحت باب منزلها : السلام عليكم يا أهل الدار لقد عدت ... أجابتها والدتها من غرفة الجلوس : و

عليكم السلام و رحمة الله .. اتجهت لأمها قبلت يدها و جلست بجوارها : ألم يعد أحمد بعد ؟ .. تركت الحاجة فتحية ما تحيكه من الكروشيه جانبا : لقد عاد ثم اتجه مباشرة لغرفته و طلب مني ألا نزعجه لأنه بحاجة للنوم .. أخبريني كيف كان الحفل ؟ .. تنهدت بحالمية و أجابت بابتسامة واسعة : رائع يا أمي .. حقا رائع لقد كنت أحتاج لمثل هذا الحفل حتى أصفي ذهني قليلا من ضغط العمل ... قامت من مكانها : سأبدل ملابسي و أخلد للنوم تصبحين على خير ... أجابتها : و أنت من أهل الخير .

دخل إلى المنزل و ألقى السلام على أخته ثم جلس بجوارها : كيف حالك حبيبتي ؟ .. التفتت له في جلستها و أجابته بابتسامة : بخير الحمد لله .. كيف كان الحفل ؟ رائع أليس كذلك ؟ يا إلهي لقد فوته على

نفسي بغبائي لكني لم أستطع أن أنتهي من عملي باكرا و أنت تعلم... بتر كلماتها هاتفا : كفى كفى لقد أصبت بالصداع ما كل هذا ؟ لقد كان سؤالا واحدا أجبتني عليه بقصيدة مطولة .. ثم رفع يديه داعيا : أعانه الله من سيتزوجك فإنه سيتزوج أكبر ثرثارة في الدنيا ... ضربته على كتفه بغيظ ثم أكملت بغرور : بل قل سيتزوج أجمل امرأة في الدنيا .. أحلى امرأة في الدنيا .. أرق امرأة .... لم تكمل كلامها بسبب هتافه: يكفي هذا حلا .. سأذهب لأنام لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك .. ثم اتجه إلى غرفته واضعا يده ممسدا بها جبهته بسبب الصداع الذي أصابه من ثرثرة أخته الحبيبة .

كان يرى ذات الحجاب الوردي كل حفل بقلب متلهف ... أحبها بصمت ، لكنه يخشى الاقتراب و يكتفي بالنظر إليها من بعيد .

بعد مرور سنة .....

استيقظت في الصباح تستعد للذهاب إلى عملها عندما دخلت عليها والدتها تحمل شطائر و كوبا من عصير البرتقال الطازج : لن تخرجي من باب المنزل دون تناول فطورك لا تتعبيني معك ككل يوم .. قبلت رأسها : سأتناوله لأجل عيونك حبيبتي ... تناولت فطورها و ودعت أمها ثم اتجهت إلى مرسمها .

دلف فارس إلى مكان عمله محييا سكرتيرته (حياة) حتى وصل إلى مكتبه ... جلس على المقعد و فتح حاسوبه استعدادا لبدء يوم جديد حافل بالعمل .

دخلت المرسم و تخلت عن حجابها فهنا عالمها الخاص الذي لا يشاركها فيه أحد .. شرعت في إتمام لوحتها مستمعة إلى أغنية الفنانة نجاة الصغيرة (عيون القلب) ... كانت تعمل كل يوم حتى وقت متأخر كي تنتهي من لوحات معرضها المقام بعد أسبوعين .

عادت إلى المنزل بعد أن هدها التعب و أنت عضلاتها من الإرهاق .. دخلت غرفة الجلوس قائلة بصوت واهن : السلام عليكم كيف حالكم جميعا ؟ .. ارتمت على أقرب مقعد متنهدة تفرك جانبي وجهها عل هذا الصداع يخف قليلا ... أجاباها : و عليكم السلام .. سألها أحمد : كيف حالك جويرية ؟ يبدو عليك التعب ما بك حبيبتي ؟ .. رفعت نظرها له : لا تقلق إنه مجرد إرهاق سيزول بالنوم و نهضت متجهة إلى

غرفتها : تصبحون على خير سأنام لا أرى أمامي من التعب ..قالت لها أمها بعتب : ألن تتناولي غداءك ؟ .. لا أريد تناول أي شيئ أريد أن أناااام فقط و اتجهت إلى غرفتها بدلت ملابسها و نامت على الفور .

بعد أسبوع كانت جويرية في مرسمها تضع آخر لمساتها على بطاقات الدعوة لمعرضها و التي سترسلها لكبار الفنانين و المصورين و الصحفيين .

كان فارس منهمكا في عمله عندما دخلت عليه حياة تخبره بوصول دعوة لمكتبه .. فتحها و قرأ ما بها ... إنها دعوة لحضور معرض للفن التشكيلي .. فكر في عدم الحضور لكنه وجدها فرصة رائعة كي يغطي هذا الحدث و يتعرف على كبار الفنانين ممن سيحضرون ؛ فعزم على تلبية الدعوة .

قلقة و مرهقة لم تنم منذ يومين تدور من هنا إلى هناك تنهي آخر التحضيرات و اللوحات للمعرض تدعو الله أن يوفقها و تنال لوحاتها إعجاب الحاضرين .

في المساء كانت جويرية تدور بين الحاضرين مستمعة لنقد البعض و مدح البعض الآخر فخورة بما صنعت ..... على أنغام موسيقى هادئة كان يمر على اللوحات الواحدة تلو الأخرى يقوم بتصويرها ثم يتأملها منبهرا بهذه الفنانة التي أبدعت في أدق تفاصيلها حتى قطع تأمله صوتها الذي أرجعه لذكرى لم ينساها : هذه اللوحة هي الأقرب إلى قلبي ... التفت وجدها تنظر إلى اللوحة مبتسمة .. جحظت عيناه : هي ، نعم هي ذات الحجاب الوردي التي يراها كل مرة في حفل عمر خيرت .. و لكن ماذا أتى

بها إلى هنا ؟ .. تنحنح ثم قال : نعم إنها رائعة و دقيقة للغاية .. أومأت على كلامه دون أن تنظر له : لقد استغرقت مني الكثير من الوقت و الجهد .. التفتت له مبتسمة : لم أعرفك بنفسي أنا جويرية خالد صاحبة هذا المعرض و مدت يدها تصافحه .. صافحها مذهولا : صاحبة المعرض ؟ ... تنحنح بحرج : تشرفت بمعرفتك، أنا فارس جمال مصور فوتوغرافي صاحب مكتب الجمال للتصوير و الإعلان .. نظرت له مقطبة حاجبيها تحاول التركيز ، لقد رأته من قبل لكنها لا تذكر أين و لا متى .. خرجت أفكارها على هيئة سؤال : هل تقابلنا من قبل ؟ .. ابتسم بثقة : نعم في حفل الموسيقار عمر خيرت بدار الأوبرا ... تذكرته فهو تقريبا لا يفوت حفل مثلها .. ابتسمت له ابتسامة مجاملة : نعم تذكرت أهلا بك ، أعتذر منك و لكن علي أن أهتم بباقي الضيوف ،

استمتع بوقتك ... و انصرفت من أمامه ... لقد تعرف لتوه على الفتاة التي أحبها و لمدة سنة ... تلفت انتباهه بجمالها و هدوئها و انعزالها عن العالم فهي دائما ما تحضر الحفل دون مرافق ... تسكن أحلامه على استحياء كل ليلة لكنه لم يستطع الاقتراب منها و لو مرة كأنها محاطة بهالة ملائكية يخشى تدنيسها بحديثه إليها ... لكنه لن يستمر في صمته بعد الآن و قد فتح أمامه أول باب إليها ... لقد تحدث إليها فكسر أول حاجز بينهما و يجب أن يستغل هذه الفرصة ... راقبها متلهفا بعينيه لكنها كانت مشغولة بضيوفها فترك القدر يدبر لقاءهما التالي كما دبر الحالي .

عادت إلى منزلها مستندة على أخيها فقد خارت قواها تماما بعد هذا الوقت الطويل من العمل الشاق .. أدخلها غرفتها و وضعها على سريرها : ارتاحي

جويرية و نامي جيدا و تذكري لا عمل غدا ستبقين بالمنزل تستعيدين قوتك لقد صرت أشبه بالمومياء .. ضحكت على جملته : مومياء! كل هذا و تقول لي مومياء لابد أنها مومياء ضخمة جدا .. ضحك مربتا على كتفها : نامي الآن حبيبتي كفاك كلاما .. قبل رأسها و خرج من الغرفة ... بدلت ملابسها و تدثرت بالغطاء جيدا مغمضة عينيها لكن بمجرد إغلاقهما شاهدت زوج من العيون العسلي تحدقان بها .. فتحت عينيها على اتساعهما مستغفرة ربها : استغفر الله لابد أنها هلوسات بسبب قلة النوم .. أغمضت عينيها مرة أخرى و ذهبت في نوم عميق .

بعد أيام كان قد انتهى من تعديل صور المعرض الخاص بجويرية فكان من المفترض أن يرسلها إليها عبر البريد الإليكتروني لكنه شعر برغبة في رؤيتها ،

يريد التقرب منها .. لن يستسلم لمخاوفه من الارتباط بعد الآن ... لن يحبها بصمت إلى أن يراها تختفي من أمامه ... لن ينكر أنه ينتظرها كل حفل و يبحث عنها بعينيه حتى يجدها فتبدأ نبضات قلبه تخرج عن طور الانتظام و يعلن قلبه العصيان على عقله و سيطرته ، يحبها لأنها مختلفة .. مرحة و منطلقة كفراشة ، ناجحة بل بارعة في عملها و لم ينس أيضا أنها فاتنة ... تنهد و نهض من مكانه عازما على تلبية نداء قلبه و ليحسم الصراع بين القلب بحبه و العقل بمخاوفه .

كانت منهمكة في رسمها عندما سمعت طرقا على الباب .. غسلت يديها سريعا و ارتدت حجابها .

فتحت الباب متوقعة أن تجد حارس المبنى أو أحد سكانه لكنها وجدت أمامها صاحب العيون العسلي ...

برقت عيناها و انفرجت شفتاها بدهشة .. ما الذي أتى به إلى هنا ؟ .. انتظرته ليخبرها عن سبب مجيئه أو يلقي عليها السلام حتى لكنها لم تجد منه سوي التحديق .. تنحنحت فأفاق من تأمله و خفض بصره : السلام عليكم و رحمة الله ، كيف حالك يا آنسة جويرية ؟ .. أجابته : و عليكم السلام ، بخير الحمد لله تفضل بالدخول .. دخلا و تركت الباب مفتوحا و سألته : كيف حالك ؟ .. أجابها : بأفضل حال الحمد لله .. شعر بالغباء لمجيئه فتنحنح بحرج : آسف لأني جئت دون موعد أرجو ألا أكون مزعجا بتطفلي .. ابتسمت : لا عليك ، لكن ما هذا الخطب شديد الأهمية لدرجة حضورك شخصيا إلى مرسمي ؟ .. تنحنح مادا يده : لقد أردت أن أحضر لك صور المعرض لقد انتهيت من تعديلها اليوم .. أخذتها منه مبتسمة بامتنان : شكرا جزيلا لك ... لم يدر ما يقول كل ما

يعرفه أنه يريد أن يطيل مدة جلوسه أمامها : لوحاتك رائعة تتمتعين بذوق عال و يد خبيرة ، أحييك على مجهوداتك ... ابتسمت شاكرة : هذا من ذوقك أشكرك .. ثم نهضت من مكانها : أتشرب القهوة أم الشاي ؟ .. نهض من مجلسه بعد أن شعر بعدم رغبتها في بقائه : لا هذا و لا ذاك شكرا جزيلا لك و لكن علي الذهاب فورا ، في المرة القادمة إن شاء الله ، ثم مد يده مصافحا إياها : إلى اللقاء .. أجابته : حسنا ، إلى اللقاء ... أغلقت الباب بعد خروجه مستندة عليه بظهرها ... ماذا يحدث ؟.. هل هذه نظرات إعجاب التي رأتها بعينيه أم هي فقط تتوهم ؟ .. تنهدت بقوة محدثة نفسها : كلها أوهام جويرية ركزي بعملك و بحياتك و لا تقحمي نفسك في تلك الدوامات التي تغرق ضحاياها إلى غير رجعة . أقنعت نفسها بهذه الكلمات و التفتت تكمل عملها .

خرج من عندها بإصرار زائد ... منذ سنة وهذا القلب الخافق يجن عند رؤيتها .. في كل مرة يراها يزداد حبها في قلبه ... هو فارس الشهير بلقب سارق قلوب العذارى كما لقبه أصدقاؤه في مرحلة الشباب و لا زال اللقب مستمرا ، فعلى الرغم من أنه لم يحب أبدا و لم تلفت نظره أي فتاة من قبل إلا أنه جذاب لدرجة تجعل كل الفتيات تتودد إليه لكنه لا يلتفت لأي منهن ليس بسبب شيئ من الغرور أو الكبر لكنه حقا لا يبالي فهو كاره للقيود و كان يرى الارتباط هو أكبر قيد يمكن أن يصيب بشر .. لكن ماذا يفعل الآن و من الواضح أن القيد على وشك إصابته هو الآخر ؟ أسيكون قيدا من حرير أم قيدا من حديد صدأ ؟ .. و كيف سيعترف لها بمشاعره من الأساس و هو يقابل منها بالصد غير المباشر في كل مرة يحاول الاقتراب منها ؟ .. كل هذه الأفكار تدور برأسه

تكاد تصيبه بالجنون ... تنهد و استقل سيارته في طريقه لعمله .

عاد من عمله بدل ملابسه و تمدد على سريره واضعا يديه خلف رأسه يفكر في مشكلته .. ماذا عليه أن يفعل الآن ؟ و كيف يقول لها ؟ هو لن يتركها تذهب من بين يديه مهما حدث ، فبعد أن وجد من هزت كيانه و زلزلت حصونه المنيعة و سكنت أحلامه أيتركها ؟ بالتأكيد لن يفعل ... ابتسم بثقة و نام عازما على الذهاب لها في الصباح يخبرها بما يعتمل بقلبه و ليحدث ما يحدث فهو و إن كان غير خبير في أمور الحب تلك لكنه يريدها و بشدة فلن يحسب حساب أي شيئ و سيخرج عن طور الهدوء و التعقل .

في الصباح دخل المبنى و عندما اقترب من مرسمها سمعها تضحك محدثة أحدهم ، دق الباب محييا قائلا

بغضب لم يستطع كتمانه خاصة عندما رأى من تحدثه و الذي لم يكن سوى شاب بعمره تقريبا : السلام عليكم ... التفت كلاهما ناحية الباب لكن كلا منهما بشعور مختلف ، جويرية بقلب فقدت دقاته القدرة على التحكم بها و بعقل يستغرب ما حدث للقلب .. و الشاب الذي تحدثه بعقل متسائل عن هوية الطارق ... دخل دون أن ينتظر ردا من أي منهما : كيف حالك جويرية .. ضيقت ما بين حاجبيها و ذهلت مما سمعته فقالت محدثة نفسها : جويرية هكذا دون ألقاب ؟ ... ثم أفاقت من ذهولها : و عليكم السلام و رحمة الله ، أنا بخير الحمد لله ، أعرفك يا أستاذ فارس هذا أستاذ صهيب ، أستاذ صهيب هذا أستاذ فارس مصور فوتوغرافي و صاحب مكتب الجمال للتصوير و الإعلان .. كانت في كلامها تضغط و توضح كلمة أستاذ لكنه لم يبال ، لقد أزال الألقاب إلى

غير رجعة و انتهى الأمر .... بعد خروج صهيب من المكان التفت لها بحدة : ماذا كان يفعل هذا الكائن هنا ؟ .. أجابته بحدة مماثلة هاتفة بصوت عال : و ما شأنك ؟ .. من أنت لتحاسبني ؟ ... استفزتها كلمته فهو حتى الآن ليس له صفة بالنسبة لها و لا سلطة عليها حتى يخرج منه مثل هذا التصرف .. اقترب منها ضاغطا على أسنانه : حتى الآن أنا مجرد زميل لكن الزمان كفيل بتغيير كل حال .. تذكري هذا جيدا جويرية ... خرج من عندها يضرب الأرض بقدميه مخاطبا نفسه : أستاذ فارس ، حسنا يا أستاذة جويرية لن أكون فارس جمال إن لم ألقنك الحب على نار هادئة في أقرب فرصة يا صاحبة الرأس العنيد و اللسان الطويل ... ثم أضاف بغيظ : الصبر .. فقط الصبر يا فارس .

بعد خروجه فكرت بغضب : ماذا يريد منها و كيف يعاملها بهذا الشكل ؟ .. كيف سمح لنفسه بنزع الألقاب كأنه صديقها المقرب ؟ ... زفرت بضيق و التفتت تكمل عملها بذهن حاضر غائب .

في يوم الجمعة و كعادتها استقلت سيارتها في تمام الساعة السادسة صباحا متجهة إلى مدينة ساحلية تقع في بلادها تردد كلمات أغنية نجاة الصغيرة (أنا بعشق البحر) : أنا بعشق البحر .. زيك يا حبيبي حنون .. و ساعات زيك مجنون .. و مهاجر و مسافر و ساعات زيك حيران .. و ساعات زيك زعلان .. و ساعات مليان بالصمت .. أنا بعشق البحر .

وصلت إلى شاطئ البحر فصفت سيارتها على جانب الطريق و نزلت منها ... تخلت عن حذائها و مشت على الرمال حافية القدمين مغمضة عينيها تستمع

لصوت الأمواج تتداخل مع أصوات الطيور مصممة أكثر موسيقى تعشقها و ترتاح عند سماعها ... قضت ساعات تنظر إلى البحر و السماء تصفي ذهنها و تفضي بهمومها .

انتفضت على صوت أحدهم من خلفها : منظر رائع أليس كذلك ؟ ... ذهلت لرؤيته فصاحت به : ماذا أتى بك إلى هنا ؟ .. أجابها مستنكرا : أنا في أرض الحكومة ... استفزتها كلمته فضربت الأرض بقدمها و فرت من أمامه راكضة ... حاول أن يستوقفها : جويرية .. جويرية توقفي ... التفتت له بحدة : اسمي الآنسة جويرية ، من سمح لك بنزع الألقاب و التعامل بهذه الأريحية ؟ ... أجابها مغيظا إياها مستمتعا بذلك : أنا من سمح لنفسي ... رفعت إصبعها في وجهه محذرة : لا أسمح لك أستاذ فارس التزم

حدودك جيدا ... أراد الإمعان في إغاظتها : سألتزمها لا تقلقي .. ثم اقترب منها غامزا بعبث : لكن عندما نتزوج سأهدم كل الحدود و أي حدود ... شهقت بصوت عال و اتسعت عيناها فشملت وجهها كله و فغرت شفتاها : أنت .. أنت ... لم تستطع الرد على تصريحه هذا فزمت شفتيها بغيظ و هربت من أمامه ... كتم ضحكته بشق الأنفس و ظل يتأملها حتي ابتعدت بسيارتها عن ناظريه .

بعد أيام كانت تفتح باب المرسم لكنها وجدت ما يعوق طريقها ، خفضت بصرها لترى هذا الشيئ فوجدته باقة كبيرة من الورود البيضاء .. التقطتها تتشممها ثم سحبت البطاقة لتقرأ ما بها :

ليت الذي خلق العيون السودا

خلق القلوب الخافقات حديد

لولا نواعسها و لولا سحرها

ما ود مالك قلبه لو صيدا

عوذ فؤادك من نبال لحاظها

أو مت كما شاء الغرام شهيدا

(بقلم الشاعر إيليا أبو ماضي)

ثم أكملت لتجد اسم المرسل :"بدون اسم" ... قطبت بين حاجبيها تفكر في هوية الشخص الذي سمح لنفسه بإرسال الورود إليها بل و كتابة شعر غزل أيضا ... تأففت : لا ينقصني إلا هذا الشخص

المجنون .. دخلت إلى المرسم رمت البطاقة وضعت الورود في مزهرية أنيقة ثم اتجهت إلى لوحاتها مقنعة نفسها بأنها لامبالية و غير مهتمة بالورود و بمرسلها .

ظل الحال على ما هو عليه لمدة شهر ، فكل يوم تجد باقة من الورود و معها بطاقة مكتوب بها شعر مختلف عن الذي قبله و المرسل :" بدون اسم " ... استشاطت غضبا من هذا المجنون المتطفل .. إنه يعلم مكان عملها و مواعيد عملها أيضا كيف هذا ؟ ستصاب بالجنون .... لا تنكر بأن فعلته هذه حركت بها شيئا ، بل و تجعلها تنتظر باقة اليوم التالي بلهفة لتقرأ أبيات الشعر المرسلة معها ، لكنها تعود و تهز رأسها تنفض عنها هذه الأفكار ... عندما عادت إلى منزلها اتجهت إلى أخيها تقص عليه مغامرات هذا

العاشق الخفي فقد زاد الأمر عن حده فقال لها بحيرة : بدون اسم ؟! من يكون هذا و ماذا يريد منك ؟ ... لا أعلم يا أحمد لقت أتيت إليك حتى تجد لي حلا ؟ لا أدري ما أفعل و لا أستطيع أن أتوقع حتى من يرسلها ! ... قال لها مربتا على كتفها بابتسامة مطمئنة : اهدئي جويرية .. لي بعض المعارف يمكن أن يوصلونا إلى هذا المجهول و سأقوم بتعيين من يراقب المرسم ... لا تشغلي بالك حبيبتي بهذا الجنون و ركزي بعملك فقط و لا تلتفتي لأي شيئ آخر ، اتركي الأمر لي .. قبلت وجنته : أدامك الله لى يا حبيبي ... تذكر شيئا : ألن تذهبي إلى حفل لعمر خيرت قريبا ؟ .. أجابته بابتسامة : بالتأكيد .. سأذهب غدا فأنا لا أستطيع أن أفوت حفل له .. ثم اقتربت منه بابتسامة مستعطفة : أحمد ، أتأت معي ؟ ... ضحك على طريقتها : حسنا دعيني أفكر قليلا ، مممممم

موافق .... صفقت بقوة : حبيبي يا حمودي ... قال لها : حبيبي يا ماذا ؟!... أجابته ضاحكة تمط شفتيها : حمووودي .

كانت تستعد للذهاب إلى الحفل عندما دخل عليها أحمد : هل انتهيت ؟ ... التفتت له : نعم ، هيا بنا ... جلسا فى مقعديهما فى انتظار بدء الحفل عندما لمحت شخصا تعرفه جيدا .. أغمضت عينيها و تنهدت بعمق فالتفت لها أحمد : ما بك ؟ هل أنت متعبة ؟ .. أجابته مربتة على يده : لا عليك حبيبي أنا بخير .

كان يبحث عن مقعده فلمحها تجلس بجانب أحدهم و تربت على يده محدثة إياه بحميمية ... زفر بصوت عال و التفت يبحث عن مكانه و تجنب النظر إليها حتى نهاية الحفل .

بعد انتهاء الحفل سمعت صوته قريبا جدا منهما : جويرية ... ابتلعت ريقها كغصة في حلقها فهي لم تتحدث إليه منذ اللقاء على شاطئ البحر و اكتفى كل منهما بنظرات خاطفة كل حفل ... التفتت له بابتسامة حاولت جاهدة رسمها : أستاذ فارس ، كيف حالك ؟ .. أجابها ناظرا إلى أحمد : بخير الحمد لله ثم أضاف : ألن تعرفنا إلى بعضنا ؟ ... أغاظتها جملته كثيرا لكنها أجابته تضغط على أسنانها حتى كادت أن تتحطم : أحمد ، أخي قالتها مشددة على كلمة أخي ... ثم أكملت : أستاذ فارس يا أحمد مصور فوتوغرافي ... تصافحا بابتسامة يختلف معناها عند كليهما ، ففارس يبتسم بارتياح و ثقة فمن ظنه حبيبها ما هو إلا أخاها .. و أحمد يبتسم بعدم راحة فهو يشعر من عيني فارس بإعجابه بأخته ... تشرفنا يا أستاذ فارس .. رد عليه : الشرف لي ... ثم أضاف

مخاطبا أحمد مستغلا الفرصة التي أتته على طبق من ذهب : هل لي بكلمة على انفراد ؟ ... بالتأكيد ، تفضل .. ابتعدا يتحدثان تحت أنظارها المذهولة .

ظلا على هذا الحال لمدة شهرين كاملين ، ما بين شد و جذب ، تلميح بحب منه و صد و تظاهر باللامبالاة منها ، خطوة للتقرب تقابلها بخطوتين مبتعدتين ، و أمام صبره و مثابرته بدأت تلين و تشتاق بداخلها إلى مشاكساته و محاولاته دون أن يظهر عليها أي من هذا ... ممتازة في إخفاء مشاعرها ... خائفة من الاقتراب أكثر .. مرعوبة من الارتباط بأي مخلوق يحمل بهويته صفة ذكر ؛ لأنها تعلم أنه ليس كل ذكر رجل بل إن أكثرهم أشباه رجال ، و ليس كل من يحمل بهويته صفة ذكر فهو يستحق الاحترام فهناك منهم من يستحقون فقط الاحتقار و لن يكفيهم

أيضا ... لكن أهو من هؤلاء الذين تخشاهم ؟ .. لم تر منه إلا كل خيرإلى الآن لكنها لا تعلم حقا فالشخص لا يظهر للغرباء إلا محاسنه أما مساوئه فلا يراها إلا أقرب الناس إليه .

بعد أيام كانت بغرفتها ممددة على السرير مغمضة عينيها تستمع إلى أغنية أم كلثوم (الحب كله) عندما اقتحمت أمها الغرفة : هيا ، انهضي و ساعديني لدينا الكثير من الأعمال للقيام بها و يجب أن نذهب إلى السوق حتى نشتري .... لم تكمل جملتها بسبب هتاف جويرية : أمي ، ماذا حدث لكل هذا ؟ .... انفرجت أسارير والدتها و اتسعت ابتسامتها حتى شملت وجهها كله : عريس ، لقد تحدث إلى أحمد و عندما سأل عنه لم يسمع إلا كل خير .. ثم رفعت يدها تدعو لها مدمعة العينين : جعله

الله من نصيبك يا بنيتي و لا أراني بك سوءا أبدا ....

نهضت من مكانها و هتفت بها : عريس ! ألم ننته من هذا الموضوع أمي .. لقد قلت لك مرارا أنا لا أريد الزواج لا بهذه الطريقة و لا بغيرها ... صاحت بها أمها بغضب : ستتزوجينه يا جويرية ، هذه المرة ستتزوجينه و لن أرضخ لك ككل مرة ... لقد رفضت ما يقارب العشرين عريسا لن أسمح لك هذه المرة .. أحمد ارتاح لما سمعه عنه كثيرا و أنا أثق بحكمه ... جهزي نفسك فأنت لن تذهبي إلى المرسم غدا و ستقابلينه و لا تفتحي النقاش في هذا الموضوع مجددا .. ثم تركتها و خرجت من الغرفة .

كانت جويرية تقف مبهوتة ، هذه أول مرة تخاطبها أمها بهذه الطريقة و تجبرها على شيئ .. ترى من هذا الذي كسب قلب حماته قبل قلبها هي شخصيا

؟! ... سترفضه ككل مرة بالتأكيد ... تنهدت بتعب : يا رب ساعدني .

عندما استيقظت في الصباح كان العمل على قدم و ساق .. فوالدتها قد جلبت من تساعدها في تنظيف المنزل الذي قلب رأسا على عقب و كله بسبب هذا العريس ... ساعدت أمها في أعمال المنزل و تحضير ما سيقدمونه لهذا الضيف حتى جاءت الساعة الخامسة : أتركي ما بيدك جويرية و اذهبي حتى تجهزي ... التفتت لها جويرية باستغراب : ألم تقولي أنهم سيأتون في الثامنة ؟! .. ردت عليها أمها و هي تدفعها إلى غرفتها : نعم و لكن يجب أن ترتاحي كي لا يتضح التعب و الإرهاق على وجهك .. ثم أخذت تقلب وجهها يمينا و يسارا : ألا ترين هذه الهالات السوداء تحت عينيك .. ارتاحي قليلا حبيبتي ثم

ارتدي ملابسك .. قبلتها على رأسها و دعت لها بالتوفيق ثم خرجت من الغرفة .

دق جرس الباب ففتحه أحمد محييا الطارق : أهلا بك ، كيف حالك ؟ ... فرد عليه : بخير نحمد الله ، كيف حالك أنت ؟ ... الحمد لله بأفضل حال ، تفضلوا بالدخول ... دخلوا و بعد لحظات كانت تدخل جويرية مطأطأة رأسها تحمل صينية المشروبات .. مالت حلا على فارس تهمس منبهرة : ما هذا الجمال يا أخي ، إنك لست بهين أبدا ... أجابها ضاغطا على أسنانه : اخرسي يا حلا ستفضحيننا ... وجهتها أمها إلى العريس المنتظر فأخذ منها المشروب هامسا بابتسامة عابثة تحمل الكثير : سلمت يداك جويريتي ... لحظة ، اثنان ، ثلاثة مروا عليها و هي متسعة العينين بصدمة لا تتحرك من مكانها .. هل

أصيبت في سمعها أم هي تتهيأ هذا الصوت ؟ رفعت عينيها تدعو الله أن يكذب ما سمعته و لا تراه أمامها ... لكنها وجدته .. وجدته يبتسم لها ابتسامة اعترفت داخل نفسها بمدى جاذبيتها خاصة مع عينيه بهذا اللون المهلك ... أخفضت بصرها و خرجت من صدمتها ململمة نفسها و قدمت المشروب لوالد العريس و أخته التي كانت تنظر لأخيها و عروسه بخبث ثم جلست بجانب أخيها .

بعد السلام و الكلام خرج الجميع من الغرفة و لم يبق سواهما .. بدأ هو الكلام : كيف حالك جويرية ؟ .. رفعت رأسها بحدة : ماذا تفعل هنا ؟ .. ضحك كثيرا على جملتها : لقد أتيت لخطبتك .. ثم أخفض صوته : أريدك زوجتي في أسرع وقت ممكن ... تائهة تحاول استيعاب كلماته : من سيتزوج من ؟ ... أجابها

بابتسامة ثقة محركا حاجبيه صعودا و نزولا: أنا و أنت سنتزوج ... ضغطت على أسنانها : و من سمح لك بذلك ؟ أنا حتى لم أوافق و لن أوافق ... أتضعني أمام الأمر الواقع ؟ ... نحن لا نعرف بعضنا جيدا كيف سنتزوج بهذه السهولة ؟ ... أجابها مبتسما بثقة : لم أجد غير هذا الحل فأنت عنيدة جدا فأخذت بنصيحة أحدهم و دخلت البيت من بابه فهل لديك مانع في ذلك ؟ أما عن التعارف فقد وجدت الخطبة من أجله ... ثم أكمل معدلا من هندامه بغرور مصطنع : أنا متأكد أنك ستوافقين فأنا لا أقاوم أبدا ...كانت تنظر له بغيظ فأكمل بثبات : ستوافقين جويرية فأنا أحبك و أنت تعلمين هذا لا تتظاهري بعدم المعرفة أكثر من ذلك ... لأكثر من سنة و أنا أحبك ... لن أسمح لمخلوق بأن يقترب منك أبدا و لن أنتظر أكثر من ذلك .. ليس أمامك خيار آخر إما أن

تتزوجيني أو تظلين عزباء لبقية عمرك ثم بسط يديه أمامها : الخيار لك ... أحمرت وجنتاها لكلماته فهي لم تعتد على هذه الكلمات من الرجال فما يجمعها بهم لا يخرج عن إطار العمل فيأتي هو ليقول لها أحبك بهذه الطريقة ، هذا كثير عليها جدا .. نظرت له بغيظ و هبت من مكانها تخرج من غرفة الضيوف مخلفة ورائها من يموت بها عشقا .... عاد الجميع و ظلوا يتحادثون في أمور شتى حول العروسين و أثني والد فارس على جمالها و أدبها و دعا الله أن يوفقهم معا في حياتهم .

بعد أيام وافقت جويرية بعد الكثير من الضغط من والدتها و الإقناع من أخيها و أيضا قلبها الذي خذل عقلها و خرج عن طوعه بحبه الوليد لهذا الفارس .. اتصل أحمد بفارس و أخبره بموافقتها ففرح كثيرا و

اتفقا على أن تتم الخطبة بعد أسبوع و عقد القران بعد شهرين على أن يكون الزواج بعد ستة أشهر بناء على طلب جويرية .

في خلال هذا الأسبوع كان المنزل في حالة من التأهب لاستقبال هذا الحدث الضخم حيث لم تدخر والدتها جهدا أو مالا حتى يكون حفل الخطبة على أكمل وجه ... ذهبت جويرية مع والدتها و صديقتها الوحيدة نادين لشراء الفستان و مستلزماته و بذلك انتهت من أهم التحضيرات .

في حفل الخطبة .....

صاحت نادين بانبهار و فرح : جويرية .. تبدين رائعة الجمال ... احتضنتها مربتة على ظهرها : افرحي حبيبتي هذا الحفل كله لك ، لا تفكري في شيئ غير سعادتك و انزعي كل الأفكار المتشائمة من

رأسك ... أبعدتها عنها و أمسكت وجهها بين كفيها :
فارس يحبك جويرية و يتمنى سعادتك و هذا واضح
جدا عليه فأنت لم تريه بالخارج و هو ينتظرك
بلهفة ... ثم ضغطت بإصبعها على رأسها : ضعي
هذا برأسك دائما ... هزت جويرية رأسها بالإيجاب :
حسنا ، لا تقلقي .. أمسكت نادين يدها : هيا لنخرج
إليهم ... سحبت جويرية نفسا عميقا و تبعت نادين .

كانت جويرية بفستانها الوردي و حجابها الأبيض
تخطف الأنفاس و أولهم فارس الذي ما إن رآها حتى
اتسعت عيناه من جمالها المبهر و أخذ يتأملها و هي
ترتدي هذا اللون الوردي الذي يليق بها بشكل
عجيب ... اقتربا منه فقالت له نادين بابتسامة
بشوشة : مبارك يا فارس ، أنا نادين صديقة
جويرية ... صافحها باحترام : شكرا لك ... جلست

تفرك يديها ببعضهما من الخجل تحاول ألا تلتقي عيناها بعينيه لكن محاولاته لم تجد نفعا حيث وجدته يقول لها هامسا بصوت لا يسمعه غيرهما : ما هذا الجمال ! .... احمرت وجنتاها و كادت تموت من شدة خجلها لكنها وجدت صوتها أخيرا : شكرا ... كانت تعلم بمراقبته لها و كان هذا ما يزيد خجلها لكنها حاولت تجاهل الأمر حتى تستمتع بحفل خطبتها فتعمدت عدم النظر إليه .

بعد انتهاء الحفل و قبل أن تنام وجدت هاتفها يرن برقم لا تعرفه فأجابت : السلام عليكم ... أتاها صوته : و عليكم السلام ، كيف حالك جويرية ؟ ... تعجبت سؤاله ألم يكن معها منذ أقل من ساعة ؟ : بخير الحمد لله ... هذا رقمي احفظيه على هاتفك ... حسنا ، سأحفظه ... صمت للحظات لا يدري ما

يقول : سأتركك الآن لتنامي ، تصبحين على خير ... أرادت أن ترد له بعضا مما فعله بها : و أنت من أهل الخير يا أستاذ فارس ... أجابها بغيظ يكاد يفتك به : جويرية ، أنا خطيبك ، خطيبك ... رددي ورائي كي تحفظيها فمن الواضح أن ذاكرتك ضعيفة ... بحياتك كلها هل وجدت من تسبق اسم خطيبها بأي لقب ؟ بالتأكيد لا ... اسمي فارس يا جويرية فارس فقط .. ثم أضاف بعبث : لكن إذا أردت قول فارسي ، حبيبي ، عمر..... لم يكمل كلمته بسبب هتافها الغاضب : فاارس ، إلى اللقاء ثم أغلقت الخط دون انتظار رده ... استغرب رد فعلها فقال مخاطبا نفسه : ما هذا الجفاء ؟ ثم فكر قليلا و استحسن عقله هذه الفكرة : أم هو خجل فتيات ؟ .. ابتسم لما استقر عليه عقله هو خجل فتيات بالتأكيد فتصرفاتها كلها تخبره بذلك ، لكن صبرا فارس سيزول كل هذا الخجل و تصبح

طيعة بين يديك ... نام على أمل أن تسكن أحلامه كما تسكن قلبه و عقله .

أغلقت الخط غاضبة لكن لم هي غاضبة ؟ .. كان يمكنها صده بطريقة ألطف لكنها هاجمته كأنه متحرش ينعتها بأبشع الألفاظ و ليس خطيبها .. إنه ليس خجل هي تعلم لكنه كتلة غضب بداخلها و من الواضح أنها وجدت فرصتها حتى تخرج و ترى النور بعد سنين من الكبت و الكتمان ... تنهدت بعمق و دعت الله ككل ليلة أن يحررها من طاقة الغضب هذه و التي تجعلها تبتعد بل و تؤذي كل من يحبها على وعد لنفسها بأن تحاول الاستماع لقلبها هذه المرة دون أي اعتبارات أخرى .

في الصباح بينما تنهي لملمة أشيائها قبل الذهاب إلى العمل اتصل بها فارس : صباح الخير و الجمال ،

كيف حالك اليوم ؟ ... تذكرت وعدها لنفسها فوضعت كل أفكارها جانبا و أجابته مبتسمة : صباح الخير ، أنا بأفضل حال .. كيف حالك أنت ؟ ... سعد لنبرتها المرحة و إجاباتها الهادئة على عكس مزاجها بالأمس : بخير الحمد لله ... نمت جيدا ؟ ... أجابته : ليس بشكل كاف لكن يجب أن أذهب للمرسم فقد تراكم الكثير من العمل بسبب تجهيزات الحفل و لا أستطيع تأخيره أكثر من ذلك ... أجابها بحنان : وفقك الله لكل خير ... أتحتاجين لشيئ ؟ ثم أضاف ضاحكا : صحيح أن علاقتي بالرسم ليست جيدة على الإطلاق لكن بإمكاني المساعدة بأي شيئ آخر تحتاجينه ، ثقي بي ... أجابته شاردة في كلماته التي لمستها بما تحمله من اهتمام خالص : شكرا لك فارس ... يجب أن أذهب الآن ، إلى اللقاء ... أجابها شاردا بصوتها الذي بدأ يدمنه : إلى اللقاء جويرية .

مر أسبوعان من الهدوء النسبي بينهما ففارس لا يدخر جهدا كي يجذبها إليه و تعتاد وجوده ، و جويرية تحاول الاستجابة لمحاولاته لكنها دون قصد منها تتذكر مواقف من الماضي كانت تظنها مدفونة بعناية في عقلها الباطن لا تستطيع الخروج إلى السطح ، لكنها كانت مخطئة ؛ فالذكرى التي تولد ألما لا تموت أبدا .

كانت في مرسمها منكبة على إحدى لوحاتها عندما رن جرس الباب ... فتحته لتجد باقة كبيرة جدا من الورود يمسكها فارس بين يديه فلا يظهر وجهه .. ضحكت على منظره : ماذا فعلت بنفسك ؟ ... أجابها من خلف الورود : ألن تقولي لي تفضل بالدخول حتى ؟ ... أجابته و لا زالت على نفس الحالة من الضحك : تفضل بالتأكيد ، ثم أشارت له إلى مكان :

ضعها هنا ... وضعها و تنهد بعمق : صباح الخير ، ما رأيك بالورود ؟... سيكفيك هذا لمخزون شهر منها .... ضحكت من قلبها على جملته : كيف عرفت أنني أحب الورود البيضاء ؟ ... نظر لها بحب : لأني أعلم أنك طيبة و نقية من داخلك برغم القسوة و العناد الذين تظهرينهم من الخارج ، فيجب أن تناسبك هذه الورود بجمالها النقي و رائحتها الذكية ... كانت تنظر له لا تدري ما تقول فقد أصابتها كلماته في الصميم ... تنحنحت : سأعد لنا القهوة .... حسنا ، سأنتظرك هنا ... جلسا يتحادثان في أمور مختلفة .. يعلم أن المدة قصيرة بين الخطبة و عقد القران لكنه يحاول بكل جهده التعامل معها بأريحية و جعلها تعتاده بكثرة الكلام و اللقاءات بينهما على الرغم من تجاوبها المتحفظ ...

في المساء كانت تجلس مع نادين في النادي عندما سألتها : جويرية ، كيف حالك أنت و فارس ؟ ... تنهدت جويرية : بخير ، لا أعلم تحديدا كيف من المفترض أن نكون لكني أقسم لك أحاول أن أعمل بنصيحتك .. ثم شردت بعيدا بنظرها : تركت لقلبي العنان دون سلطة عليه ... كانت نادين تحاول سبر أغوار جويرية فقالت لها بنظرة مدققة : و ماذا قال لك قلبك ؟ ... لا أعلم نادين أنا مشوشة جدا ، لا يمكنني أن أحكم الآن .. لكن فارس دائما ما يقوم بأفعال صغيرة تؤثر بي حقا و يرى ما بداخلي بشفافية ... رن هاتف جويرية و كان المتحدث فارس : السلام عليكم ، كيف حالك جوريتي ؟ ... أجابته مبتسمة : و عليكم السلام ، أنا بخير ... هل أنهيت عملك ؟ ... تنهد : نعم أخيرا انتهيت .. استغرب صوت الأطفال حولها : جويرية ، هل أنت

بالمرسم ؟ ... أجابته مبتسمة تنظر إلى نادين : لا ، لقد ذهبت إلى النادي مع نادين ... أجابها بعد لحظات بنبرة غريبة هادئة : و لم لم تخبريني ؟ ألم نتفق على إطلاع بعضنا البعض على كل أمورنا ؟ ... استغربت نبرته و سؤاله : لم يخطر ببالي أن أخبرك ، إنه ليس بأمر مهم ... ضغط بيده على عجلة القيادة و صاح بها : بل هو مهم جدا بالنسبة لي ... أجابته بسخرية : آسفة لم أعرف أنك تريد حبسي و معاملتي كطفلة ... استغفر الله بصوت عال و قال لها بهدوء مزيف : جويرية ، سأحادثك في وقت آخر تكونين مستعدة فيه للمناقشة ... أغلق الخط دون انتظار ردها ... وجدتها نادين تهز رجلها بعصبية و تأكل شفتيها بغيظ مركزة بصرها على الهاتف دون أن يصدر منها أي صوت فنادت عليها : جويرية ... نقلت جويرية بصرها إلى نادين و هي على نفس

حالتها العصبية و هتفت بها : يحاسبني لإني لم آخذ منه الإذن قبل خروجي ، لست مضطرة أن أفعل هذا أبدا ... أجابتها نادين بحكمة : جويرية ، اهدئي قليلا و فكري بعقلك ... ربما يخاف عليك و يغار ، لم افترضت أنه يريد تقييدك و كبت حريتك و كل هذا الكلام المتعلق بحقوق المرأة ؟ ألم نتفق أن تنزعي هذه الأفكار من رأسك العنيد هذا ؟ ... شردت جويرية في كلمات نادين : أيعقل أنه يخاف عليها بل و يغار أيضا ؟ ثم نفضت رأسها تنفي هذه الأفكار : بالتأكيد لا ، هو فقط حاله كحال كل الرجال يريد تقييدي و سلبي حريتي ... نهضت و حملت حقيبتها : سأذهب الآن نادين ، إلى اللقاء .. تصافحتا : حسنا حبيبتي ، إلى اللقاء أراك غدا إن شاء الله .... ابتعدت جويرية بينما نادين تبتهل إلى الله متنهدة : يا رب ، اصلح حالها و انزع الغشاوة عن عقلها .

أغلق الهاتف معها يفكر في كل تصرفاها ... يعلم أنها عنيدة و أنه وضعها أمام الأمر الواقع في البداية ، لكن هذا لا يفسر أفعالها ... فهي تارة تحادثه بسعادة و انسجام و تارة تصيح به و تهاجمه كأنه اختطف أحد أبنائها و كأنها لا تعرفه مطلقا ... احتار معها لا يعلم ماذا يفعل و لا يمكنه التنبؤ بردات فعلها ... يحاول جهده معها لكنها حتى الآن لم تقتنع بأنه خطيبها الذي من المفترض أن يشاركها و تشاركه كل لحظاتهما ... أحيانا يشعر بحبها له .. نظراتها تفضحها .. لكن أفعالها و كلامها يخبرونه بغير ذلك ... تنهد بعمق يفكر في حل لهذه المعضلة التي تؤرقه كل ليلة .. هل عليه أن يمنحها مزيدا من الوقت قبل الإقدام على خطوة كعقد القران ؟ .. ربما تشعر بالصدمة من التقلبات السريعة في علاقتهما ؟ .. عزم على الذهاب لها كي يعرف منها كل شيئ .

ذهب إليها في اليوم التالي ... فتحت باب المرسم فوجدته أمامها متجهم الوجه عابس يقول لها باقتضاب : السلام عليكم جويرية ، هل يمكنني أن أتحدث إليك لبعض الوقت ؟ .. لن أعطلك لا تقلقي ... أجابته مبتعدة عن الباب تفسح له المجال ليدخل : و عليكم السلام و رحمة الله ، بالطبع تفضل بالدخول ... جلسا صامتين لا يدري كل منهما كيف يبدأ الكلام ، كسرت هي هذا الصمت متنحنحة بحرج : فارس ، أعتذر عن عصبيتي البارحة لم أقصد ال.... لم تكمل جملتها حيت وجدته يهمس بتعب و ينظر لها بعتب : لم تفعلين هذا بي جويرية ؟ أنا لا أفهم .. هل فعلت لك شيئا دون قصد فقررت معاقبتي عليه بهذه الطريقة ؟ .. أنا أردت منك فقط أن تعطينا الفرصة كي نفهم بعضنا و يعتاد كل منا على طباع الآخر لكني لا أرى منك غير الصد و الجفاء ... تنهد بتعب مغمضا

عينيه : لقد تعبت جويرية ، إذا كنت تريدين المزيد من الوقت أخبريني و لك كل الوقت .. ثم أبعد نظره عنها : أما إذا كنت تريدين الانفصال ف.... همست تقاطعه : كفى فارس ... أرجوك ... ثم أكملت تفرك يديها : أنا لا أريد الانفصال أبدا ... فقط أحتاج لبعض الوقت ، أعلم أنك صبرت علي كثيرا لكني أحتاج للمزيد منه بعد ... ثم أكملت تنظر له بضياع : أرجوك فارس ، حاول أن تتفهمني ... ينظر إليها محاولا الدخول إلى أعماق روحها ... هناك شيئ غامض لا يعرفه ... هي تريده و لا تريده بنفس الوقت ... توجد حلقة مفقودة في شخصيتها يجب أن يكتشفها حتى يستطيع فهمها جيدا ... تنهد و لا زال يفكر : حسنا جويرية لك كل الوقت الذي تحتاجين لكن بعد عقد القران فأنا أشعر أني مقيد بهذه الخطبة ، اتفقنا ؟ ... أجابته بابتسامة : اتفقنا ... أكمل كلامه : جويرية ..

إذا أردت الذهاب إلى أي مكان فقط أخبريني قبلها حتى أعلم أين أنت و لا أقلق عليك ، أنا بالتأكيد لن أمنعك لكن اعتبريه من باب المشاركة .. هل أطلب الكثير ؟ ... شعرت بالحرج من رقته اللامتناهية و هدوئه الذي اعتادته في التعامل معها و مع كل مشكلة بينهم فابتسمت له و أجابته : لا فارس ، أنت لا تطلب الكثير أبدا .. أنا هي المخطئة كان من المفترض أن أخبرك ... آسفة .. كانت تفكر بحزن في ظلمها له دون قصد منها أو منه و تذكرت مشهدا مشابها لهذا .....

- صاح بها بغضب و عينين حمراوين : أين كنت ؟

- أجابته متلعثمة بخوف : لق .. لقد ذهبت كي أزور صدي .. صديقتي بالمشفى .

- جذبها من شعرها و أخذ يهزها و هو يصيح بها بجنون : كيف تجرؤين على الخروج من هذا المنزل دون علمي ؟ ها .. أجيبي ... أم أن القطة قد أكلت لسانك أيتها الساقطة .. اختتم كلمته بصفعة على خدها أدمت شفتها ثم تركها و خرج من المنزل دون أن تؤثر به دموعها و لا أصوات بكائها و لو بشعرة .

- توالت صرخاتها و شهقات بكائها كأنها ترثي شبابها و حياتها التي ماتت و دفنت و أخذ هو عزاءها وحده .. لم تعلم بمن يراقب ما حدث ، يبكي بصمت حتى لا يصيبه ما أصابها .

أفاقت من ذكرياتها على صوته الحنون بعد أن نهض من مقعده : جويرية ، يجب أن أذهب .. أتريدين شيئا ؟ ... أجابته بابتسامة ممتنة و نظرة مطولة : شكرا لك فارس ... نظر لها بحنان : شكرك لي سيكون

بدوام ابتسامتك التي تزين وجهك الجميل ...
بمشاركتك لي كل لحظاتك الحزينة قبل السعيدة ... و
بثقتك بي جويرية .... ثم صافحها مبتسما: إلى
اللقاء ... صافحته : إلى اللقاء ... بعد ذهابه كانت
تفكر بذهن شارد و قلب خافق بجنون في هذا الفارس
الذي تمس كلماته و أفعاله المهتمة و الحنونة قلبها
في أشد مواطن ضعفه .

وعدتك أن لا أحبك ..

ثم أمام القرار الكبير ، جبنت

وعدتك ...

أن أتجاهل عينيك ، مهما دعاني الحنين

و حين رأيتهما تمطران نجوما ..

شهقت ...

لقد كنت أكذب من شدة الصدق ،

و الحمد لله أني كذبت ..

(بقلم الشاعر نزار قباني)

يقف أمام مرآة غرفته مبتسما يضع اللمسات الأخيرة على مظهره ... جاء اليوم الذي ينتظره منذ أن رأتها عينيه .. يوم عقد القران ... اليوم الذي ستصبح فيه جويريته زوجته و حلاله ... لقد انتظره كثيرا حتى كاد صبره أن ينفد ... تنهد و خرج من غرفته فوجد حلا تنتظره ، اتسعت ابتسامتها بمجرد رؤيته و تفحصته من رأسه إلى أخمص قدميه

هاتفة : أهلا بعريسنا الوسيم ... ضحك من قلبه على جملتها و اقترب منها يلف ذراعه حول رقبتها : أهلا بحلاي المشابغة ... هتفت به بغضب مصطنع : ابتعد فارس ستفسد حجابي ... أجابها مستمتعا بإغاظتها : لن أبتعد ، هيا بنا سنتأخر ... التفتت تنظر له بخبث : مممم ، سنتأخر .. بل قل أنك افتقدت عروسك و لا تستطيع الانتظار كي تراها ... ضربها بخفة على رأسها : هل قلت لك من قبل أنك ثرثارة أكثر من

اللازم و يجب قص لسانك ؟ ... أجابته ضاحكة : إنك تقولها لي كل دقيقة تقريبا ... ثم أضافت رافعة رأسها بغرور : لكني سأظل على موقفي مهما قلت ...

أجابها ساخرا : موقفك ؟ .. ثم أغمض عينيه و تنهد بعمق : اخرجي يا حلا قبل أن أرتكب فيك جريمة ...

فضلت الانسحاب قبل أن ينفذ تهديده فتمتمت بصوت خفيض معترض :لا أستطيع أن أعبر عن نفسي بكلمتين في هذا البيت ... سألها مدققا : ماذا قلت ؟ ... نظرت له ببراءة : لم أقل شيئا .. كنت أدعو لك حبيبي .... لم يصدقها لكنه فضل إنهاء الحوار حتى لا يتأخر أكثر من ذلك : حسنا يكفي هذا .. هيا اخرجي أمامي ... خرجا مع والدهما متجهين إلى القاعة المقام فيها عقد القران .

كانت متوترة إلى أقصى حد ... حدثت كثير من المشاحنات بينها و بين والدتها و نادين ... لا تدري ما بها .. لقد وافقت على إتمام هذه الخطبة بكامل إرادتها ، فلم التردد الآن ؟ ... تعلم أنه يحبها و يهتم بها ، لكن على الرغم من ذلك ، لا تزال خائفة ... تنهدت مغمضة عينيها تدعو الله أن يريح قلبها .

يجلس بجانبها ممسكا بيدها كأنه يخشى هروبها في أي لحظة ... ينتظر انتهاء المأذون من مراسم عقد القران بلهفة ... كان يتأملها مبتسما و يفكر : ما المشكلة في أن يخطفها الآن و هي بهذه الطلة التي أسرت قلبه ؟ .. هل يزداد جمالها يوما بعد يوم أم أن حبها في قلبه هو الذي يزداد فيجعله يرى كل ما بها جميلا ؟ .. كيف لم يصر عليها كي يتم هذا الزواج اليوم ؟ .. أفاق من تأمله على صوت المأذون و

الحاضرين يرددون : " بارك الله لهما و بارك عليهما و جمع بينهما في خير " ... لم يتمالك نفسه و أوقفها محتضنا إياها بشوق و حب مغمضا عينيه يستشعر حلاوة قربها بين يديه غير مهتم بمن استنكروا فعلته و من تعجبوا لها فكأنما لا يوجد أحد غيرهم بالمكان .. هي و فقط هي ... لقد انتظرها كثيرا و يجب أن يروي كل الشوق الذي ولده هذا الانتظار ..... تململت بين يديه لا تصدق ما فعله .. أيحتضنها أمام هذا الجمع من الناس ؟ .. تكاد تموت خجلا و قد تحول وجهها بأكمله إلى اللون الأحمر و دفنته في كتفه تداري عينيها عن نظرات من حولهم و لا تستطيع حتى أن تنطق بكلمة اعتراض ... ظل على هذا الحال لحظات و لحظات إلى أن نطق أخيرا بصوت مبحوح لا يسمعه غيرها : أحبك جويرية و قد انتظرت هذه اللحظة كثيرا جدا ... أبعدها عنه قليلا و

قبل رأسها : مبارك لنا حبيبتي ... خجلة ، لم تستطع أن ترفع عينيها لتواجهه فأمسك ذقنها برقة و رفع رأسها متأملا لؤلؤتيها السوداوتين : ارفعي رأسك و انظري لي حبيبتي ، لا تبعدي نظرك عني أبدا ... ظلت ترمش بعينيها و تنظر إلى أي شيئ آخر إلا هو فلم يرد إحراجها أكثر من ذلك و رفع يدها و قبلها بحسية أرسلت رعشة في جسدها ثم أحاط خصرها بيده و قربها منه و التفت يستقبل التهاني من الحاضرين بينما ذهنها شارد لا تستطيع التركيز مع أحد ... غيره .

تجلس بغرفتها تفكر في فارس بابتسامة حالمة ... لقد تحول لشخص آخر بعد عقد القران مباشرة ... بجانب حنانه و طيبة قلبه يوجد شخص محب لم يظهر إلا اليوم .. لقد قال لها أنه يحبها و انتظرها كثيرا ...

ماذا تتمنى أكثر من ذلك ؟ .. إنها تحبه أيضا .. مهما أنكرت ، تعود و تعترف بهذه الحقيقة .. كيف لقلبها أن يتلقي كل هذا الحب و الاهتمام منه و لا يتأثر ؟ لقد تأثر و مال و حن و اشتاق ، لكن عقلها هو من يأبى الاعتراف .. عقلها هو الجاحد الوحيد في قصتها ... ليست لديها سلطة عليه .. لا تستطيع سوى الخضوع له ... فمتى ينتصر قلبها على هذا الجاحد ؟ ... متى يتحرر من سباته و يبادل الحب دون قيود ذكريات أو غيرها ؟ ... أفاقت من شرودها على صوت هاتفها .. ابتسمت بمجرد أن وجدت اسمه على الشاشة فأجابته : ألم تنم بعد ؟ ... تنهد و أجابها : لا أستطيع أن أنام ، كلما أغمضت عيني أراك أمامي بابتسامتك و عيونك اللامعة .. لا أستطيع أن أصدق أنك أصبحت حلالي جويرية ... ثم أضاف بغضب مصطنع : لا مزيد من قل و لا تقل ، افعل و لا

تفعل ... تحولت نبرته للعبث : كل شيئ مباح حبيبتي .. كل شيئ ، و قد رأيت جزءا بسيطا منه اليوم ... احمرت وجنتاها مع آخر كلماته و همست باختناق خجول : فارس ... أجابها بهيام : عيون فارس ، لا مزيد من الاعتراض جويرية ... نامي الآن ، سأمر عليك باكرا كي نتناول الفطور معا ... تصبحين على كل خير و سعادة وردتي ... أجابته مغمضة عينيها : و أنت من أهله .

في الصباح ، تفتح باب سيارته بنظرة معتذرة : آسفة ، تأخرت عليك ؟ ... ابتسم لها : لك كل الوقت .. صباح الورد يا وردتي ... أجابته بابتسامة خجلة : صباح الخير ... انطلق متجها إلى مطعم قريب من مكان مرسمها .

جلسا على طاولة بزاوية هادئة منتظرين وصول الطعام .. كان صامتا يتأمل كل حركة تصدر منها حتى قطع هذا الصمت : جويرية .. هل تريدين قول شيئ لي ؟ ... نظرت له مستفهمة : لم أفهم ... تدارك نفسه واعتدل في جلسته و أجابها مازحا : لا عليك .. لا تلتفي لكلامي .. ابتسمت و هزت رأسها بالإيجاب .. تنظر له خلسة ... تعلم ما يريد سماعه ، لكن لسانها لا يطيعها لقوله ... خفضت بصرها سريعا عندما أنهى المكالمة و تظاهرت بتناول طعامها .. بعد انتهائهم ، أوصلها إلى المرسم و التفت لها في جلسته : متى ستنتهين ؟ .. حوالي الساعة الرابعة ... حسنا ، سأمر عليك في الرابعة ... ثم أكمل مازحا : فكما تعلمين أنا مدعو على الغداء في بيت خطيبتي و يجب أن ألبي الدعوة ... أجابته ضاحكة : حسنا ، سأنتظرك ... قربها منه و قبل

رأسها متنهدا : مع السلامة جويرية ... أجابته متأثرة بقربه : مع السلامة .... يراقبها و هي تدخل المبني و فكره معها .. متى سيتحطم هذا الحاجز الذي تضعه بينهما و لا يعلم له سبب ؟ ... لو تخبره فقط بما يدور بعقلها ... تنهد و أدار سيارته مبتعدا .

عادا سويا إلى منزلها ... مترددة .. تعلم أنه أصبح زوجها لكن أن تتحرر من حجابها أمامه فهذا ما لا تستطيع استيعابه ... حسمت أمرها و أخذت نفسا عميقا تهدئ به نفسها و خرجت من غرفتها .

كان يجلس مع أحمد في غرفة الضيوف يتحادثان عندما طلت عليه هذه الحورية ... اتسعت عيناه و انفرجت شفتاه و أطلق بصره يتفحصها صعودا و نزولا ... شعرها الحريري بلون البندق و يتخلله بعض الخصلات الذهبية يحتضن جسدها الذي و لأول

مرة يرى به هذه الانحناءات المثيرة ... خداها بلون شفتاها الورديتين و عيونها السوداء ... كيف لم يلتفت لكل هذه التفاصيل من قبل ؟ .. انتبه من تأمله على نحنحة رجولية : لدى بعض الأعمال سأقوم بها ... ثم ربت على كتف فارس : أنت ببيتك يا فارس ... نهض فارس من مكانه و تنحنح بحرج : بالتأكيد أحمد ، تفضل ... خرج أحمد و تركها بمفردها معه ... كانت تتصبب عرقا من شدة إحراجها .. لم يترك جزءا بها لم يتفحصه و كل هذا على مرآى من أخيها ... ماذا تفعل الآن ؟ ... تريد الهرب من أمامه خاصة مع هذه النظرة من عينيه و التي ترسل بجسدها كله رعشة قوية ... نظرة لم تعتدها منه لكنها تعترف بتأثيرها عليها ... به جاذبية و رجولة لا تقاوم ... كل كلماته و حركاته تنضح بالرجولة و الحماية ... استمر لقاء العيون لدقائق لم

يشعرا بعددها إلى أن قطع صمتهما دون أن تفارق عيناه عينيها قائلا بصوت متحشرج : جويرية .. هل أحلم أم أنك حقيقة ؟ .. لا أصدق ما أراه ... إنك مثالية ... أجمل امرأة رأتها عيني ... مد يده لها : اقتربي مني جويريتي ... هل كانت تتصبب عرقا من نظراته ... ماذا تفعل و أين تذهب بعد كلماته ؟ ... لم تتحرك من مكانها فتقدم منها و أمسك يديها يقبلهما برقة ثم أحاط خصرها بذراعه يقربها منه و رفع يده الحرة يتخلل خصلات شعرها بحنان مرددا اسمها من وقت لآخر : وردتي الخجولة ... تنظر له منبهرة كطفلة حصلت لتوها على لعبتها المفضلة ... ماذا يفعل بها ؟ .. كيف حرك قلبها بعد سباته الطويل ؟ .. كيف استطاع أن يحررها من كل حواجزها دون أي شعور منها ؟ .. كيف تؤثر بها نظرته بهذا الشكل ؟ .. نظرة منه كفيلة بأن تقلب كيانها رأسا على

عقب ... قبلها على رأسها فأغمضت عينيها تستشعر ذقنه غير الحليقة تلامس بشرة جبينها ... ابتعد عنها بابتسامة مشاكسة : إذا لم نخرج إليهم الآن فلا أضمن لك ما سيحدث فهذا كثير علي جدا ... أخفضت بصرها فأمسك بيدها يجذبها إلى خارج الغرفة .

تجلس بجانبه على طاولة الطعام تكتم ضحكتها بشق الأنفس فأمها قررت ممارسة طقوسها الأمومية البحتة في تغذيته : ستأكل كل ما أمامك فارس و إلا ستجعل حماتك تغضب منك و هذا ليس في صالحك أبدا .. واستمرت في وضع جميع أصناف الطعام بطبقه و هو مذهول مما يحدث .. نظر لجويرية علها تنقذه فوجدها تكتم ضحكتها و هزت رأسها له تنفي قدرتها على التدخل فانفجر في ضحكه و يشاركه جويرية و أحمد .. بعد توقفهم عن الضحك أمسك يد

الحاجة فتحية و قبلها : سلمت يداك على هذا الأكل الطيب ، لكني لن أستطيع أن آكل كل ما وضعته اعفني من هذا أرجوك ... خبطته جويرية على رجله خفية فنظر لها مستفسرا ليجدها تزم شفتيها و تنظر له أن تدارك ما قلته سريعا لكنه لم يستطع أن يتدارك أي شيئ حيث وجد الحاجة فتحية تتنهد و تتحدث باستنكار مشوحة بيدها : لا أعلم شباب هذه الأيام كيف يفكرون ... يجب أن تأكل جيدا و تتغذى فلون وجهك شاحب و لا يعجبني بني .. ثم أكملت : عندما تزوجت عمك خالد كان ... قاطعتها جويرية بابتسامة باردة : أمي ، سيبرد الطعام .. ابتسم فارس لكلامها الأمومي الحنون و الذي يفتقده منذ وفاة والدته : رحمه الله و أدامك في حياتنا ... أكملت طعامها بذهن شارد غير منتبهة لمن يراقب سكناتها و حركاتها بعد تغير مزاجها المفاجئ ... في المساء كانت تودعه قبل

أن يذهب : أوصل سلامي إلى حلا و أبي ... أجابها بابتسامة : سأوصله بإذن الله .. ثم قبلها من وجنتها و أكمل كلامه : مع السلامة .. أجابته : مع السلامة .. أغلقت الباب بعد ذهابه و تنهدت تهدئ دقات قلبها ثم اتجهت إلى غرفتها .

في طريق عودته لمنزله كان يفكر فيها .. كانت مرحة جدا ثم تبدل مزاجها على النقيض لتصبح شاردة و متباعدة ... قلق عليها من تقلباتها .. إنها ليست المرة الأولى ... لم لا تثق به و تطلعه على ما يؤرقها ؟ .. غامضة جدا و غموضها هذا يربكه فهو لا يعلم ما بها حتى يستطيع التعامل معها و التخفيف عنها .. أيسألها أم يتركها حتى تجد الشجاعة الكافية لمواجهته ؟ ... ذهب إلى منزله أبدل ملابسه و أمسك الهاتف : مرحبا جويرية ، هل نمت ؟ ... لم أنم بعد ،

متى وصلت ؟ ... تمدد على سريره و أجابها :
وصلت لتوي ، كيف حالك الآن ... كنت قلقا عليك من تغير مزاجك بعد الغداء .. هل هناك ما ضايقك ؟ ...
تذكرت ما حدث فأجابته متلعثمة فهي تكره الكذب و لا تجيده بالمرة : لا تشغل بالك أنا بخير لم يحدث شيئ ... قال بهدوء : جويرية ، إذا أردت التحدث بأي شيئ .. أي شيئ ، لا تترددي أبدا و لا تقلقي فأنا كاتم أسرار من الدرجة الأولى لكن حالك هذا لا يريحني .. أشعر دائما بوجود حاجز بيننا لا أعرفه ... كأنك دائما متباعدة و بعالم آخر ... تشردين كثيرا و تكتمين مشاعرك ... أنا لاحظت كل ذلك من قبل الخطبة لكني ظننته لأنك لم تعتاديني بعد ... فماذا الآن ؟! ...
أجيبيني جويرية و صارحيني حتى يهدأ عقلي من التفكير ... كانت تستمع لكلامه مغمضة عينيها و تحدث نفسها : ما كانت تخشاه حدث .... تعلم صدق

كل كلمة يقولها ، لكن ماذا تقول له ؟ .. كيف تصارحه ؟ ... لم تجيبه فناداها : جويرية ، أين ذهبت ؟ ... تنهدت : أنا معك فارس ، لكن ... صمتت لا تعلم ما تقوله ... جويرية ، أنا لا أضغط عليكي حتى تخبريني .. إذا لم تريدي فلا تفعلي أبدا أنا فقط أردت مشاركتك و التخفيف عنك ... ثم أضاف بصوت مرح يشوبه الحزن : لا تشغلي بالك بما قلته و اخلدي للنوم فلديك عمل في الصباح ... تصبحين على خير ... أجابته بصوت يكاد يسمعه : و أنت من أهل الخير .... أغلق الخط و تنهد يفكر في طريقة لجعلها تخبره فما يزعجها يؤثر على علاقتهما و هو ما لن يسمح به أبدا .

بعد أن أغلقت الخط ظلت تحدق في الهاتف لفترة دون حراك و كل ما يدور برأسها هو كيف ستخبره ...

هبطت دموعها بغزارة و هي تفكر فيه بعد أن تخبره ... سيتركها و يقول أنها معقدة و لا يريد أن يكمل حياته معها و هي لن تتحمل بعده بعد أن أحبته... أغمضت عيونها بشدة و رفعت وجهها تناجي ربها بصوت متقطع من البكاء : يااا رب .. يا رب .

بعد أسبوع كانت تقابل أحد عملائها في المرسم عندما دخل فارس متجهم الوجه : السلام عليكم ... نهضت تحييه : و عليكم السلام ، كيف حالك فارس ؟ .. أجابها و لا زال على تجهمه : بخير ، هل انتهيت ؟ ... دقائق فقط و أنتهي لن اتأخر ... عند انتهائها استقلا سيارته فوجدته يصيح بها : من هذا الذي كان معك ؟ ... تعجبت من ثورته التي لم تعتدها منه : إنه عميل جاء يطلب مني رسم لوحة له ... أكمل و عينيه

قد تحول لونهما إلى الأحمر من شدة غضبه : إنها ثاني مرة أراك فيها مع عميل بمفردكما جويرية ... هتفت به : و ماذا على أن أفعل يا سيد فارس ، أنا أترك باب المرسم مفتوحا عند تواجدهم ماذا أفعل أكثر من ذلك ؟ هل أطلب منك الحضور مثلا ؟ .. أنا معتادة على ذلك منذ فتحت هذا المرسم و لم أواجه أي مشكلة من أي نوع ... صاح بها : هل تقابلين الرجال بمفردك كل يوم ؟ ... هتفت به بذهول يشوبه الغضب : هل تشك بي ؟ ... أجابها متخللا خصلات شعره محاولا استعادة هدوئه : بالطبع لا أشك بك جويرية أنا أثق بك كما أثق بنفسي ... ثم تحولت نظرته لترى بعينيه رجل معذب بحبه و أكمل مختنقا بكلماته : أنا أغاارر عليك جويرية ... أغار بشدة و أنت تقولين بكل بساطة أنك تقابلين الرجال كل يوم و تتحدثين إليهم ليروا بريق عينيك و جمال ابتسامتك ..

هل تظنين هذا سهل علي ؟ .. أنا أتعذب و أنا أتخيل من ينظر لك بإعجاب أو من تقع عينه عليك من الأساس فكيف بمن تحادثينه و تضاحكينه ؟ .. ترفقي بي و بقلبي جويرية و حاولي أن تتفهمي شعوري ... أنا أشعر بنااار تشتعل بصدري .... تنظر له و لا تجد ما تقوله ... ألهذه الدرجة يحبها و يغار عليها ؟ .. تذكرت ما هو مشابه لما حدث معها ...

- فتح باب المنزل و دفعها بغل لتسقط أرضا و يشرف عليها بطوله هاتفا بغضب : كيف تحادثين جارنا و تضاحكينه بهذا الشكل ؟ .. هل جننت ؟

- تبكي كعادتها و تقول من بين شهقاتها : لا تقل هذا الكلام ، كل ما في الأمر أنه سألني عن أحوالنا كأي جار .

- اقترب منها ينفث أنفاسه في وجهها فتلفح بشرتها كلهيب ساخن : ألم أقل لك لا تتحدثي إلى أي رجل مهما كان ؟ .. ماذا يفرق هذا الجار عن باقي الرجال أم أنك تخونينني معه ؟

- علت شهقات بكائها : كيف تقول هذا الكلام أنا لا أخونك مع أي أحد .. كيف تفكر هكذا بالله عليك .. استغفر ربك على سوء الظن .

- استقام و بصق عليها : لن تخرجي من هذا المنزل أبدا من الآن فصاعدا و ستكونين كالجارية به لا أكثر .. و خرج من المنزل دون كلمة أخرى .

عادت من شرودها على صوت فارس يسألها مدققا : جويرية ، فيم شردت ؟ ... نظرت له مطولا و أجابت بصوت خفيض : أريد الذهاب إلى المنزل ... تعجب من موقفها فهو توقع منها أن تثور عليه لكن أن

تشرد ثانية فهو ما لم يتوقعه أبدا فقال لها بهدوء مماثل : جويرية ، أنا زوجك و أعتقد أنه من حقي أن أعرف ما بك لكنك لا تثقين بي ... أنا أبذل كل ما بوسعي معك لكنك حتى لا تبذلين أي جهد في سبيل إنجاح علاقتنا ... قطع كلامه عندما وجدها مغمضة العينين و تبكي دون صوت ... ذهل لما رآه و اقترب منها يمسح دموعها بيديه و يقول لها بحنان : لم الدموع وردتي ؟ ... و كأنها كانت تنتظر كلماته حتى تخرج كل ما بها فانخرطت في البكاء ... احتضنها مقبلا رأسها : ما الذي حدث لكل ذلك جويرية ؟ ... لم تتكلم بل ازدادت شهقات بكائها و تشبثت بقميصه من الخلف كأنها تستجدي منه الأمان و الاحتواء فلبى طلبها و ربت على ظهرها : هششششش ، اهدئي حبيبتي لا تقلقي انا هنا بجانبك ... اخرجي ما بداخلك و احك لي ما يقلقك سأسمعك حتى النهاية ... قبل

رأسها بحنان و تركها تفرغ ما بداخلها ... بعد عدة دقائق وجدها تقول له بصوت واهن به آثار البكاء : لقد تعبت .. تعبت يا فارس من هذا الصراع ... ثم أكملت و هي تبدأ في البكاء من جديد : أنا أحبك فارس.. رفعت رأسها تنظر له من بين دموعها : أحبك جدا ، لكن ... لكن ... قطعت كلماتها بسبب شهقات بكائها فاحتضنها بشدة و قال لها بصوت معذب : لا تتكلمي حبيبتي لا أريد أن أعرف شيئ فقط اهدئي لا أحتمل رؤيتك تبكين بهذا الشكل ... بعد لحظات سكنت و هدأت شهقاتها و حركاتها ظنها نامت من التعب لكنه وجدها تقول بشرود : كانت طفولتي هادئة لا يشوبها سوى بعض المشاحنات بين أمي و أبي لكني لم أفهم وقتها شيئا مما يحدث حولى و كنت أحبهما كثيرا و بالأخص أبي .. مرت السنوات و أصبحت بعمر السابعة عندما بدأت أفهم ما

يحدث ... بدأت دموعها في النزول مع كلماتها : لقد كان أبي طوال حياته يعامل أمي بطريقة سيئة و كله على مرأى و مسمع مني أنا و أخي .. كان يهينها و يؤذيها و عندما أتدخل لأمنعه أنال من الأذية حظا وفيرا ... صدمت به كثيرا جدا لكن أحمد حاول جاهدا أن يبعدني عن هذه الأجواء و يعوضني بحنانه عن حنان الأب الذي فقدته بعد صدمتي به و تباعدي عنه لكن كل ما حدث بقي عالقا برأسي و مترسخا بذاكرتي و كلما أردت النسيان تعود الذكريات لتنغص على حياتي و تجعلني أكره الرجال و الزواج أكثر لكني لم أستسلم لهذا و قد قررت أن أعيش لنفسي لا حب و لا زواج فقط نفسي .. أفعل ما أريد و أذهب حيثما أريد دون الحاجة لرجل في حياتي .. كان هذا مبدأي في الحياة ... ثم ابتعدت عنه و نظرت له بابتسامة حزينة : إلى أن التقيتك .. عاندت و كابرت كثيرا لكن

بالنهاية بحنانك و حبك تحولت كتلة الغضب و الكره بداخلي إلى حب لم أشعر به إلا معك و لا أتمني بحياتي رجلا إلا أنت ... إن كنت تسألني عن سبب تباعدي عنك و شرودي فهذا هو السبب ... ثم أبتعدت بعينيها عن لقاء عينيه و قالت له بهم : بعد أن علمت بكل عقدي و ما عشته لك مطلق الحرية الآن إذا أردت الاستمرار معي أو أرد.... كان يستمع إليها بعيون لامعة و قلب يفيض عشقا ... الآن فقط فهم تصرفاتها و تقلباتها ... تحمل كل هذا الهم وحدها و كل هذه العقد بسبب رجل كتب أن يكون والدها .. إنها قوية لدرجة لا توصف كي تتحمل كل هذا الألم بقلبها الصغير ... بعد أن انتهت من كلامها و اختتمته بهذه الجملة التي تخيره فيها بين استمراره معها أو تركها ... لم يستطع منع نفسه أكثر فاقترب منها وضع يدا حول خصرها يقربها منه و اليد الأخرى

خلف رأسها و قربها منه مقبلا شفتيها برقة تذيب الحجر و أسكتها بطريقته ... ابتعد عنها مسندا جبينه إلى جبينها مغمضا عينيه و كذلك هي : أحبك وردتي و كل حياتي ... أحبك و لن أفكر في لحظة أن أتركك مهما حصل ... انسي أي شيئ حدث في الماضي و تذكرى هذا الوعد مني ... أعدك أن أظل أحبك و أهتم بك و أحافظ عليك طوال حياتي .. أعدك أن أعوضك عن كل لحظة حزن و ألم عشتها في حياتك ... ثم احتضنها بقوة يودعها كل أمانه و حنانه واضعا خدها على صدره يستند بذقنه على رأسها ... تستمع إلى وعده و تشعر به لصدقه يتغلغل إلى أعماق روحها يثلج قلبها و يمحي كل ذكرياتها التي اختبرت فيها الألم و الحزن ... أغمضت عينيها تنعم بقربه و تستمع لدقات قلبه التي تخبرها بعشقه الذي يغدقه عليها دائما .

بعد أسبوع ... اتصل بها فارس : صباح الخير ... نظرت إلى ساعة الحائط و وجدتها السادسة صباحا فأجابته بصوت ناعس : صباح الخير فارس .. أكمل بحماس : هيا انهضي و اجهزي جويرية سأمر عليك بعد ساعة ... اعتدلت في جلستها على السرير تفرك عينيها بذهول : ساعة ؟!.. لم ؟ .. أين سنذهب في هذا الوقت ؟ ... أجابها : لا مزيد من الأسئلة فقط ارتدي ملابسك في أسرع وقت و لا تشغلى بالك لقد أخذت الإذن من والدتك و أحمد أيضا .. مع السلامة .. أجابته و هي على نفس ذهولها : مع السلامة .

بعد ساعة و في سيارة فارس فتحت جويرية الباب بابتسامة مرحة : تأخرت عليك ؟ ... قبل وجنتيها : لك كل الوقت وردتي .. التفتت له تسأله : أين

سنذهب ؟ ... أجابها بنظرة مشاغبة : استعدي .. ثم أكمل بلهجة شيطانية عابثة : سأختطفك .. ضحكت من قلبها على كلمته : افعل ما تريد فأنا ملكك اليوم .. اقترب منها بشكل خطير حتى أنها التصقت بمقعدها و نظر لها نظرة أصبحت تعرفها مؤخرا .. نظرة تدغدغ مشاعرها و تجعلها تشعر بأنها الأنثى الوحيدة على وجه الأرض : أفعل كل ما أريد أليس كذلك ؟ ...

ابتلعت ريقها بصعوبة و حاولت إبعاده بكلتا يديها و قالت بصوت يذوب خجلا : فارس .... أجابها بصوت هائم : يا عيون فارس و قلبه و كل عمره ، أنا زوجك يا وردتي اتركي نفسك لي و لا تخشي شيئا أبدا .... ردت عليه بسرعة تنفي كلامه : أنا أعلم هذا فارس و لا أخاف منك .. ثم أكملت دون أن تنظر له و قد احمرت وجنتاها و خفت صوتها فأصبح همسا: أنا أخجل فارس ... نظر لها مبتسما بحنان و وضع يده

على خدها : أعلم ذلك حبيبتي و أراعيه جدا ... قبل رأسها و ابتعد عنها : استرخي جويرية ... أمسك يدها مقبلا إياها و أدار السيارة متوجها إلى المدينة الساحلية التي تعشقها جويرية ... عند وصولهما نزلا من السيارة و تخلا عن حذائهما متجهين إلى شاطئ البحر ... جلس فارس على الرمال محتضا إياها ظهرها مقابلا لصدره تستند برأسها عليه مستمعة إلى أصوات موج البحر تتزامن مع أصوات دقات قلبه التي تهدر بصدره ... بعد لحظات وجدته يقول لها :

قسما بمن خلق السماء

بلا عمد

قدري أحبك في الحياة

إلى الأبد

فتدللي فوق التدلل نفسه

من حق حسنك

أن يجاهر بالدلال

و أنا أكبر

في عيون الناظرين

من الحسد

ما الناس .. كل الناس عندي

في الوجود سوى عدد

مددي أنا

بسمات ثغرك فتنتي

بالله زيدي ..

ثم زيدي في المدد

أنت التي في القلب يمكث حبها

و غرام غيرك

ليس أكثر من زبد

(بقلم الشاعر عبد العزيز جويدة)

كانت تستمع إليه مغمضة العينين إلى أن ظهرت بعقلها ذكرى لمثل هذه الكلمات ... فتحت عينيها على اتساعهما و لفت نفسها تتفحصه بنظراتها لتجده مبتسما بتسلية .. سألته بذهول : كيف عرفت هذا الشعر ؟ .. ضحك من قلبه و أجابها : أنا أحب الشعر جدا و أحفظ قصائد أشهر الشعراء عن ظهر قلب ... ظلت تنظر له كأنها تحاول قراءة أفكاره ثم نادته بضياع : فارس .. أجابها هائما بعينيها : نعم ، ماذا هناك وردتي ؟ ... سألته بحيرة : لقد تلقيت مثل هذه الأبيات من قبل مع... قاطع كلماتها : باقة من الورود البيضاء أليس كذلك ؟ .. نظرت له فاغرة شفتيها متسعة العينين : كيف عرفت ؟ ... تبادلا النظرات لثوان إلى أن شهقت بصوت عال: أنت بدون اسم ... هز رأسه بالإيجاب محتفظا بابتسامته الواسعة ..

هتفت به : لم لم تخبرني من قبل ؟ و لم فعلت ذلك من الأساس ؟ ... أجابها : لم تكن هناك فرصة كي أخبرك .. ثم اقترب منها واضعا يده على خدها : أما عن سبب فعلتي فقد أردت أن أعبر لك عن حبي بكلمات هي أبلغ من كل الكلام .. و الورود البيضاء دائما ما تذكرني بك بنقائك و روحك الطيبة ، لكني لم أرسلها باسمي كي لا تظني أني أتسلى بك فتبتعدين عني و عندما أتيحت لي الفرصة في الحفل تحدثت إلى أحمد و أخبرته بكل شيئ و هو من طلب مني إيقاف إرسالها و وقف بجانبي حتى هذا الوقت ... تنظر له بعيون لامعة و تفكر : هل فعل كل ذلك من أجلها ؟ ... لقد تحملها كثيرا و بذل الكثير من الجهد في سبيل إسعادها و التقرب منها ... قالت له دون مقدمات بعيون لامعة : أحبك ... أجابها و عيونه

تطوف على ملامح وجهها : و أنا أعشقك يا وردتي الجميلة .

بعد أشهر ...

اتصل بها و قد نفد صبره فقال لها بغضب حاول كتمانه : جويرية ، سآتي إليك الآن و أقتل هذه السيدة التي تلطخ وجهك .. ماذا تفعلين كل هذا الوقت ؟ .. الناس ينتظروننا منذ ساعة ... أجابته تحاول امتصاص غضبه : حبيبي ، لقد انتهيت صدقني ... تعال لترى بنفسك .. و ما هي إلا ثوان حتى وجدته يدق الباب .. دخل و رآها بالفستان الأبيض و الحجاب الذي جعلها كالملاك بصورة فاقت كل خيالاته و أحلامه .. اقترب منها و هو يتفحصها بنظرته المليئة بالحب .. أمسك يديها و قبل رأسها برقة متمتما : هل هذا الجمال كله لى وحدي ؟! .. هزت رأسها بابتسامة

عذبة تخصه وحده بها .. لم يتكلما لثوان أو دقائق ربما ... لا يدري كلاهما كم مر من الوقت و هما يتبادلان النظرات العاشقة التي تنطق بما يعجز اللسان عن اختزاله في مجرد كلمات .

في قاعة العرس يحتضنها بقوة مستندة بخدها على كتفه و تلف يديها حول رقبته مغمضة عينيها يرقصان على أنغام موسيقى عمر خيرت وسط نظرات متباينة بين غبطة و حسد .. همس فارس في أذنها : أحبك ... مرغت وجهها في كتفه كقطة تنعم بقرب صاحبها : و أنا أيضا أحبك يا فارسي و كل حياتي .

كثيرا ما تؤثر علينا أحداث ماضينا و حاضرنا فتجعلنا نخشى المستقبل و نعد له العدة كأننا بصدد دخول حرب ... لكن تتغير مفاهيمنا عندما يطرق الحب

بابنا ... نترك كل همنا و مخاوفنا على عاتق من نحب و نمضي في طريقنا بروح مشرقة لا تشوبها شائبة ؛ فالحب الحقيقي دائما ما ينجح في نسيان الألم .

تمت